

من تفكير في عظمة الخلق عرف عظمة الخالق

..... السماوات السبع والأرضون السبع يقبضها الله كما قال الله تعالى: { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْصَنُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ يَمِينِيهِ } فهذه عظمة الخالق سبحانه. الذين يعظمون الأولياء أو يعظمون الصالحين يجهلون عظمة الرب سبحانه ولو استحضروا عظمته وجلاله وكثرياءه لما عظموه غيره لعظم قدر ربهم في قلوبهم، ولما مالوا إلى أحد من المخلوقات ولكن أكثر الناس لا يعلمون. كذلك أيضًا الذين يتجرعون على المعاصي، يعملون الذنب ويصررون عليها، وبتهاونهم بأوامر الله تعالى وهم يؤمنون بأن ربهم يراهم وبأن ربهم هو الخالق لهم، وكذلك أيضًا يؤمنون بأن هذه المعاصي محظمة، وتوجب سخط الله. لا شك أن معرفتهم ناقصة، وأن إيمانهم ضعيف، وأنهم لو استحضروا عظمة الخالق سبحانه لما أقدموا على معصيته ولما تجرعوا على الذنب، ولذلك يقول بعض السلف: لا تنطر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظمته من عصيتك. لو أن العاصي يستحضر عظمة الله تعالى وأنه يراه لما أقدم على المعصية؛ لأنه قد عصى ربها عصى الله. معلوم مثلاً أن من عصى سيده فإنه يبطش به العبد المملوك إذا تمرد على سيده، وعصاه ماذا تكون حاليه يلقى العذاب ويلقى الأذى، وكذلك أيضًا من تحت ولاية غيره إذا عصاه، وسيه، وتنقص رئيسه ماذا تكون حالته؟ لا شك أنه، يؤذيه، ويطرده، وبصغر من شأنه، وبحيسه لمجرد مخالفته، أفلًا ينتبه العصاة الذين يتجرعون على معصية ربهم وهم يستحضرون أن ربهم يراهم وأن حرم عليهم هذه المحرمات؟ لا شك أنهم لو استحضروا ذلك لما أقدموا على هذه المخالفات ولما أصرروا على هذه المعاصي ولو كانت من صفات الذنب فنقول: إن سماحك للأدلة التي تدل على عظمة هذه المخلوقات وبعد ما بين كل سماء إلى سماء، وعظمت خلقهم، وارتفاع هذه الموجودات، وبعدها عن البشر، وكذلك أيضًا تذكرك لعظمة العرش والكرسي وما أشبه ذلك. كل ذلك وسيلة إلى تعظيم من خلقها ومن أوجدها، فإنها مخلوقة ولها خالق عظيم وإن كانت معدومة فأوجدها سبحانه قال الله تعالى: { أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْنًا فَقَنَقْتَاهُمَا } أي: كانت ملتحمة فتفقها وجعل بينها هذه السعة وهذا الفضاء الواسع، وجعل فيها ما فيها من هذه الكواكب وهذه الأفلاك، وسير فيها هذه الكواكب السائرة، وأرسى فيها هذه الثوابت. الذي أوجدها وخلقها هو الرب العظيم المالك لكل شيء وهو الذي يجب أن يعظام العباد، وأن يستحضرون قول الله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْقُضُ وَلَا يَصُرُّكَ } { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَدِّيَنَ } فمن انتبه لمثل هذه الأدلة عظم قدر ربه في قلبه، وصغرت الدنيا، وصغر أهلها في قلبه، ولم يبق يعظام إلا الله سبحانه وتعالى. نستمع إلى كلام أبي الشيخ رحمة الله.